

إرهاصات التأليف المعجمي المتخصص عند العرب المسلمين

الطالبة الباحثة: فلوح نادية.

تحت إشراف الدكتور: سعيدي محمد.

عمل العرب كل ما من شأنه أن يوجد لغتهم انطلاقاً من أنهم قبائل متعددة لكل قبيلة خصائصها اللغوية، فكان موسم الحج بمثابة مؤتمر كبير تحضر إليه القبائل من كل حدب، وكانت القبائل تأتي إلى قريش في هذا الموسم، فتقيم ثلاثة أيام في سوق ذي الحجاز، وسبعة في سوق مجنة، وثلاثين يوماً في سوق عكاظ، وعشرين يوماً يقضون فيها مناسك الحج، وفي خضم أدائهم المناسك يتناشدون الأشعار أمام قضاة الأدب لذا كانت لغتهم خالية من اللحن وبهذا اعتبرت اللغة العربية مرآة عاكسة للحياة العربية في العصر الجاهلي إلا أنها كانت بسيطة محدودة المضامين العلمية هذا ما أستوجب اقتراض ألفاظ علمية من الحضارات الأخرى، لكن بعد مجيء الإسلام ومحاولة حفظ كتاب الله من اللحن ساهم هذا في تطور اللغة العربية خاصة مع الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة الإسلامية أدى هذا إلى إنتاج المصطلح العلمي العربي الذي ساعد في التأليف المعجمي المتخصص.

مراحل نشأة المعجم العربي المتخصص:

مرّ المعجم العربي المتخصص بمراحل كسابقه اللغوي، فهو لم يظهر دفعة واحدة وإنما كان عبر فترات متلاحقة ساهمت كلها في بلورة التأليف المعجمي المتخصص عند العرب المسلمين ، ويمكن تحديد هذه المراحل في:

1- مرحلة غريب القرآن:

بدأت الدراسات اللغوية في أحضان القرآن الكريم بوصفه النص الشرعي الذي نظم حياة العرب بعد مجيء الإسلام، وأول ما لفت انتباه المسلمين آنذاك ما أعتبر غريباً من ألفاظه لذا عني المسلمون بتأويل وتفسير هاته الألفاظ منذ القرن الأول الهجري مع عبد الله بن العباس [ت 68 هـ] واستمرت بعده حتى مع ظهور " كتاب العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي [ت 175 هـ]، فكتب تفسير القرآن بقيت محافظة على قيمتها، ونجد منها: " معاني ألفاظ القرآن " لعلي بن عبد الله بن العباس [ت 117 هـ]، " غريب القرآن لأبي سعيد أبان بن تغلب [ت 141 هـ]، " تفسير القرآن " لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت 150 هـ)¹، و"غريب القرآن" لابن قتيبة² (ت 276 هـ) .

كما أن الدور المهم للأعراب في الحياة اللغوية لا يقل شأنًا عن تفسير ما أعتبر غريباً من ألفاظ القرآن الكريم، فاللحن المرتبط بنشأة النحو سبب في خروج المؤلفين العرب اللغويين والمختصين منهم إلى البوادي بغية جمع شتات اللغة العربية والحفاظ على معاني الألفاظ، حيث قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه [ت 68 هـ]: " كنت لا أعرف ما { فاطر السموات والأرض }، حتى أتاني أعريان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا أفطرتها أي ابتدأتها."³ وبهذا فالأعراب أكثر دراية بمعاني ألفاظ اللغة العربية، وما روي كذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه سئل عن دلالة معنى قوله تعالى: { وفاكهة وأباً }⁴، فقال: " أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم."⁵ وهذا دلالة على أن معجزة القرآن كانت في ألفاظه لا يعرف معنى هذه الألفاظ إلا الأعراب في القبائل العربية المحطة.

وعمر بن الخطاب في فترة خلافته حرص على أن يروي القرآن الكريم عالم باللغة فيروى: " أن أعرابيا قدم إلى عمر بن الخطاب فقال: من يقرئني شيئا مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل من سورة براءة، فقال: { أن الله بريء من المشركين ورسوله } فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله ! فقال إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرئني هذا سورة براءة، فقال: { أن الله بريء من المشركين ورسوله } فأنا أبرأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال: { أن الله بريء من المشركين ورسوله }⁶ فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برأ الله ورسوله منهم، فأمر عمر رضي الله عنه ألا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة⁷ فهو الذي يعرف خفايا الألفاظ وما ينجم عن اللفظ من معنى إذا تغيرت حركته.

فاللحن الذي بدأ ينتشر على ألسنة العرب نشط حركة التأليف المعجمي وبدأ الاهتمام ينكب على حفظ اللغة العربية، فارتحل العلماء إلى البادية وشافهوا أعرابها وجمعوا ما استطاعوا من شعر العرب ونثرهم الذي كان ديوان العرب، يرجع إليه المفسرون إذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب فيلتسمون معرفة ذلك منه⁸. وعمل بن العباس في تفسير القرآن كان اجتهدا لغويا جعله رائد الدراسات اللغوية للنصوص العربية⁹، فكتابه في مظهره الأول كان عبارة عن مفردة ومعناها، فهو يعطي للكلمة الغريبة في القرآن الكريم معنى ويستشهد عليه من الشعر العربي الجاهلي¹⁰، لذا يمكن اعتبار عمل بن العباس عملا معجميا إلا أنه " معجما غير مكتوب، ولكنه مسموع ومفهوم، فهو قد وقف على لغات عالم العرب وأسرارها ودلالات مفرداتها، ومعرفة غريبها ونوادرها وعلى أشعار العرب، وخطبهم وأمثالهم¹¹، وهذا ساعده على تفسير كلمات اللغة العربية تفسيراً دقيقاً.

نلاحظ مما تقدم أن القرآن الكريم أنار درب الدراسات اللغوية فهو الذي أسهم في تتبع ألفاظ اللغة العربية ومعرفة أصل كل لفظة وما تحويه من معنى وهذه الألفاظ فيها العام والخاص الذي تمثله بالدرجة الأولى المصطلحات العلمية التي جمعت فما بعد ضمن كتب سميت بالرسائل اللغوية.

2- مرحلة الرسائل اللغوية:

عرفت حركة جمع الزخم اللغوي نشاطا واسعا بداية من القرن الثالث الهجري، حيث تمثل الرسائل اللغوية أحد مصادر التي جمعت فيها المادة اللغوية سميت في البداية بالنوادر وهي عبارة عن كتب دَوّن فيها ألفاظ غير شائعة من كلام العرب، وتعد نوادر أبي زيد الأنصاري [ت 215 هـ]¹² أقدم هذه الكتب التي وصلت إلينا، لكن سبقها كتاب القاسم بن معن الكوفي (ت 175 هـ)¹³ و نوادر الكسائي (198 هـ)¹⁴، وتلت كتب النوادر كتباً عرفت بخلق الإنسان و تلتها كتب خلق الحيوان و النبات والشجر وكتب الأيام والليالي والشهور وسنفصل في هذه الرسائل كل منها على حدى :

● خلق الإنسان :

أولى المؤلفون المعجميون الأهمية للتأليف في خلق الإنسان باعتباره محور الكون ، فاهتموا بما يتعلق بطعامه وشرابه ولباسه¹⁵ ، وأول من ألف فيه أبو مالك عمرو بن كركرة وحذا حذوه أبو ثروان العقلي (ت .ق 2 هـ) ، وأبو عمر إسحاق ابن مرار الشيباني (ت 206 هـ) ، والمفضل بن سلمة (ت 208 هـ)، وأبو عبيدة (ت 210 هـ)، و الأصمعي (ت 213 هـ) وأبو حاتم السجستاني ، وأبو علي ابن محمد المستنير المعروف بقطرب¹⁶ (ت 210 هـ) .

كما نجد رسالة لمحمد بن حبيب البغدادي (ت245هـ) ، في "خلق الإنسان " قسمها إلى ثمانية وعشرين بابا رتبها على حسب حروف المعجم ، حيث ورد في الباب الأول منها : "الأداف: الذكر، والودفة : النطفة ، وأنف وأذن ، إطل : أصل المرفق ، أخصم الأنثيان ، إصبع ، إبهام ، إير ،أخدع ، إبط....".

ثم اتسع التأليف خلال القرنين الرابع و الخامس الهجري، فنجد الأصمعي قد ألف في خلق الإنسان و قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام : مقدمة في بعض الأمور العامة (يمثل الحمل و الولادة والسن وتطوره)، ثم الوصف العام للإنسان حيث فصل وصفه جزءا جزءا، وتتالى التأليف بعده فنجد كتاب لابن فارس (ت395هـ)" أسماء أعضاء الإنسان " ذكر فيه الأعضاء عضوا عضوا ، مبتدئ من الرأس و تدرج وصولا إلى الرجلين خاتما إياها بذكر سن الإنسان منتقلا منالصغر إلى الكبر ، كما ألف كتاب "الفرق "الذي قال عنه : "فأما الفرق فقد كنت قد ألفت على اختصاري له كتابا جامعا ، وقد شهر بالله التوفيق"، وجلّ هذه الرسائل التي ألفت على اختلافهااهتمت بتسمية أعضاء الجسم ووظائفه .

• الحيوان:

كثرت المؤلفات اللغويين في الحيوان كثرة هائلة، حيث اهتموا بكل ما يتصل بها من صفات و أسماء وخصائص ،حتّى كان ما وضعوه في الحيوان يفوق ما وضعوه في سائر الموضوعات المفردة، و بما أنّ الدارسين اختلفوا في تحديد أيّ هذه الحيوانات كان التأليف فيها أسبق ارتأينا أن ندرج من الأكثر أهمية إلى الأقل أهمية .

أ. الخيل:

كان موضوع الخيل من المواضيع المثيرة التي لفتت علماء اللغة، نظرا لأن الخيل ما يعتز به العربي، يقول أبو عبيدة (ت210هـ) في مقدمة كتابه "الخيال": "لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها، و لا تكرمه، صيانتها الخيل و إكرامها لها، لما ما كان لهم فيها من العز و الجمال و المتعة و القوة على عدوهم ، حتّى إنّ الرجل من العرب كان ليبيت طاويا و يشبع فرسه و يؤثره على نفسه و أهله و ولده، فيسقيه المحض ويشربون الماء الفراء، و يعبير بعضهم بعضا بإذالة الخيل و هزالها و سوء صيانتها و يذكرون ذلك في أشعارهم".

ومن الذين ألفوا في الخيل المنذر هشام بن محمد الكلبي (ت 204هـ) كتاب " أنساب الخيل ، وتلاه قطرب (ت206هـ) كتاب "خلق الفرس"، و الريحاني (ت219هـ) كتاب " صفة الفرس"، والمدائي (ت225هـ) " الخيل والرهان"، واهتمامهم انصب على سرد الأخبار المتعلقة بفضل الخيل، الأحاديث الواردة فيه، على أنساب الخيل، القبائل التي اختصت بالمشهور منها و أسماء الخيل المشهورة في مقدمتها خيل النبي عليه الصلاة و السلام.

أمّا كتاب " الخيل " لأبي عبيدة (ت210هـ) راح يسرد فيه كلّ ما تعلق بالخيال العربي حيث بدأه بمقدمة يذكر فيها فضل الخيل و الأخبار الواردة فيها، أهميتها مستعينا بما ورد في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأشعار العرب مما يؤيد ذلك ، و قسم كتابه إلى أبواب فبدأ برأس الفرس يصفه عضوا عضوا، وانتقل إلى صدره و انتهى بالأرجل و الظهر"، و يقول في رأس الفرس مثلا: " في الرأس ذؤابته و ناصيته، وعصفوره و قونسه و قذاله، وفقهته وهامته، وخليقاؤه، وفراشه، و جبهته و محياه ولطمته، وقباه، ولخصتاه، وحجابا، وعيناه".

ب . النبات و الشجر:

رغم ما لهذا النوع من التأليف من تخصيص إلّا أننا نجد غالبية عناوين الكتب غلب عليها التعميم ؛ فنجد كتاب النبات أو كتاب الزرع أو كتاب النخل، وأول من اهتم بالتدوين اللّغوي في النبات و ما يخصه النضر بن الشميل (ت203هـ) فكتب في الزرع و الكرم و الأشجار و البقول وما يخصها ، لكن طبع على تأليفه النظرة العامة لموضوع النبات ربما لأنّه كان سباق في التأليف في هذا النوع، إلّا أنّ عمرو الشيباني (ت206هـ) كان تأليفه أكثر تخصيصا منه، فقد ألف كتاب "النخلة" الذي أورد فيه كلّ ما يتعلق بشجر النخل.

كما ألف محمد بن حبيب (ت245هـ) في الشجر، وألف أبو عبيدة (ت210هـ) في النبات و الأصمعي كتب هم كذلك في "النبات و الشجر" و هكذا شاع التأليف في النبات و الشجر و ما يتعلق به .

ج . الإبل و الشاه:

بما أنّ العربي عاش في بيئة صحراوية تكثر فيها تربية الإبل و الشاء، و ما لهذه الحيوانات من منافع؛ فهي تقدم له الطعام والشراب و اللباس أولى لها المؤلفون العرب الأهمية و راحوا يكتبون في كل ما يتعلق بها منذ وقت مبكر، وأول من تنسب له الأسبقية في التأليف في الإبل أبو عمرو الشيباني (ت206هـ) ثمّ جاء بعده أبو عبيدة (ت210هـ)، و أبو زياد الكلابي (ت215هـ) و الأصمعي(ت213هـ) الذي له ثلاثة كتب: "الإبل" و "الشاه" و " نعت الغنم و المعزى".

د . الطير:

لقد خصه اللّغويون بتأليف مستقل، مثل أبا عبيدة (ت210هـ) "الحمام" ،و ابن السكيت(ت244هـ) ألف "منطق الطير" و أبو حاتم السجستاني (ت255هـ) " الطير " .

هـ . الوحوش:

أطلق العرب لفظ الوحوش على كلّ الحيوانات البرية كالأسد، الذئب، الضبع، الثعلب...و لكن ما وصل إلينا في كلّ ما ألف فيها رسالتين : الأولى لقطرب(ت1210هـ) عنوانها " كتاب ما خالف الإنسان البهيمة في أسماء الوحوش و صفاتها" و الثانية للأصمعي(ت213هـ) بعنوان " أسماء الوحوش و صفاتها "، و قد قسم قطرب(ت210هـ) رسالته إلى أربعة أبواب تحدث في كل باب عن أسماء الوحوش و صفاتها" فبدأ بأسماء الحمار ثم أسماء البقر، ثم الطيبة فالوعل، فالأسد، فالذئب، فالثعلب، فالضبع، فالأرنب، ثم باب في أسماء القطيع، و ختم بأصوات هذه الوحوش".

و جلّ الحيوانات التي اهتم المؤلفون بالكتابة عنها هي من بيئتهم يعرفونها و يتعاملون معها في حياتهم اليومية نظرا للمنطقة التي كانوا يعيشون فيها، لهذا نجد غالبية المؤلفين برعوا في وصفها وصفا دقيقا سواء ما تعلق بنموها أو طريقة تكاثرها أو كيفية تربيتها .

• الأيام و الليالي و الشهور:

تتالى التدوين في جلّ ما تعرف عليه الإنسان العربي في حياته ،و من بين الأمور التي حظيت باهتمامه كذلك تسمية الأيام و الليالي و الشهور، و السباق لتدوين فهم هو الفراء (ت207هـ) وجاء بعده أبو العباس المستغفري بكتاب أسمائه" الأيام و الليالي"، كما كتب ابن السكيت(ت244هـ) كتاب " الأيام"، وأبو عبيدة(ت210هـ) ألف كتاب " الأيام" كذلك.

وسنسرده فيما يأتي أهم مؤلفين الرسائل اللغوية:

رسائل في	أهم المؤلفين
غريب القرآن	عبد الله بن العباس (ت68هـ)، علي بن عبد الله بن العباس (ت117هـ)، أبي سعيد أبان بن تغلب (ت141هـ)، أبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت150هـ)، ابن قتيبة (ت276هـ).
النوادر اللغوية	القاسم بن معن الكوفي (ت175هـ)، الكسائي (ت198هـ)، أبي زيد الأنصاري (ت215هـ)
خلق الإنسان	أبو مالك عمرو بن كركرة، أبو ثروان العقلي (ت2هـ)، أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (ت206هـ)، المفضل بن سلمة (ت208هـ)، أبو عبيدة (ت210هـ)، الأصمعي (ت213هـ)، أبو حاتم السجستاني (ت255هـ)، أبو علي بن محمد المعروف بقطرب (ت210هـ)، ابن فارس (ت395هـ).
الخيال	أبو عبيدة (ت210هـ)، المنذر هشام بن محمد الكلبي (ت204هـ)، قطرب (ت206هـ)، الريحاني (ت219هـ)، المدائني (ت225هـ)
النبات و الشجر	النضر بن الشميل (ت203هـ)، عمرو الشيباني (ت206هـ)، محمد بن حبيب البغدادي (ت245هـ)، الأصمعي (ت213هـ).
الإبل	أبو عمرو الشيباني (ت206هـ)، أبو عبيدة (ت210هـ)، أبو زياد الكلابي (ت215هـ)، الأصمعي (ت213هـ).
الطيير	ابن السكيت (ت244هـ)، أبو عبيدة (ت210هـ)، أبو حاتم السجستاني (ت255هـ).
الوحوش	قطرب (ت206هـ)، الأصمعي (ت213هـ).
الأيام والليالي والشهور	الفراء (ت207هـ)، أبو العباس المستغفري، ابن السكيت (ت244هـ)، أبو عبيدة (ت210هـ).

3- مرحلة معاجم الموضوعات:

تمثل معاجم الموضوعات لونا من ألوان التأليف المعجمي عند العرب، فالمعجمي يجمع الألفاظ المتصلة بالخيال أو النبات أو أوصاف النساء وينظمها تحت عنوان فنجد: " كتاب النبات " ¹⁷ ، وعرفت اللغة العربية هذا النوع من المعاجم منذ بداية حركة جمع اللغة وذلك في صورة رسائل معجمية صغيرة، وخير ما يمثل هذا النوع: كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي [ت 223 هـ] ينقسم إلى خمسة وعشرين كتابا يحتوي كل كتاب على عدة أبواب يندرج تحت كل باب موضوع، وصل عدد هذه الموضوعات إلى تسعة مائة موضوع، وجاء تصنيفها كالآتي: كتاب خلق الإنسان، كتاب النساء، كتاب اللباس، كتاب الأطعمة، كتاب الأمراض، كتاب الخيل، كتاب الجبال، كتاب النخل، كتاب المياه والنقى، كتاب السحاب والأمطار ، كتاب الأضداد، كتاب الإبل، كتاب الوحوش، كتاب الأجناس ¹⁸ وغيرها من الموضوعات.

فهذا الكتاب يعد النواة الأولى للمعجم العلمي العربي المختص، فأبو عبيد القاسم اعتمد على منهج خاص به، فاعتمد أسلوب الرواية، فجمع مرويات أبي عبيدة، والأصمعي وأبي زيد وأخذ رسائلهم ووضعها في معجمه ¹⁹ كما رتب الألفاظ بحسب مجالاتها وهذا يمثل في زمنه مرحلة متطورة في التصنيف المعجمي، وهذا ما بهر المعجميين الذين اقتدوا بمنهجه، ونجد منهم: ابن السكيت في معجمه " كتاب الألفاظ "، عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني [ت 320 هـ] في كتابه " الألفاظ الكتابية "، وعبد الله محمد بن عبد الله الإسكافي [ت 421 هـ] في كتابه " مبادئ الله " بالإضافة إلى الثعالبي [ت 429 هـ] في كتابه " فقه اللغة " ²⁰ .

4- مرحلة المعاجم المتخصصة:

أشرنا فيما سبق إلى أن الرسائل اللغوية ذاع صيتها حتى القرن الثامن الهجري ومن أشهر مؤلفي هذه الفترة، أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري [282 هـ]، حيث أعتبر كتابه اللبنة الأولى في التأليف المعاجم المتخصصة، فالكتاب عبارة عن موسوعة تأتي في ستة أجزاء، أربعة منها في موضوع النبات عامة. أما ما تبقى في مصطلحات النبات الخاصة، وما يميز هذا الكتاب هو أنه يختلف عن غيره من المعاجم في ترتيب المادة، فالمؤلفات السابقة معظمها تخضع لترتيب معين فحين الدينوري أخضع معجمه لنوعين من الترتيب: الترتيب الموضوعي القائم على تقسيم الأجزاء الأربعة الأولى إلى أبواب أما الثاني فهو ترتيب أسماء أعيان النبات²¹.

أما الاختلاف الثاني؛ فيشمل التعريف، ففي كتاب "النبات" اعتمد أبو حنيفة على التعريف المنطقي الموسوعي على غرار ما اعتمد في "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم أو ما اعتمد في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، فهو عرّف "بالنبات متحدثا عنه تعريفا علميا دقيقا بوصفه وصفا دقيقا ووصف ثمره، وطعمه ورائحته، ولم يهمل الجانب اللغوي في التعريف فقد أورد التعريف بالمصطلح من حيث هو لفظ متأثر بغيره من الألفاظ. " ²² وبهذا نهج أبي حنيفة الدينوري نهجا جديدا في التأليف المعجمي خالف به سابقه نظرا لاطلاعه على كتب الحضارات الأخرى خاصة اليونانية.

وازدهر التأليف في هذا النوع من المعاجم نظرا لانفتاح العرب على غيرهم من الثقافات، فترجمة الكتب من اللغات الهندية، واليونانية خاصة التي ساهمت في بلورة المعاجم المتخصصة، فنجد أن الكتابان المترجمان إلى العربية

لليونانيين ديو سقريدس [كتاب الحشائش]، وجالينوس البرغامى [كتاب الأدوية المفردة]²³ كانا لهما الأثر البالغ في ظهور المعاجم المتخصصة في مجالات الطب والصيدلة، فاستفاد مؤلفون منهما، نذكر منهم: ضياء الدين بن البيطار الأندلسي "كتاب الأدوية المفردة" فهو في هذا المعجم يذكر اسم الدواء ويعطي ترجمته الإغريقية، والقاسم خلف بن عباس الزهراوي [ت 403 هـ] في كتابه "التعريف لمن عجز عن التأليف" تحدث فيه عن الطب الداخلي، وتحضير الأدوية وعن الجراحة²⁴، كما برزت عدة كتب متخصصة في عدة مجالات منها: الفلك، الكيمياء، نتيجة ترجمة العلوم الأعجمية.

ثم توالى بعد هذا الدراسات ليشق المعجم العلمي العربي المختص طريقه سواء من ناحية المنهج المتبع أو طريقة جمع المصطلحات ووضعها أو قضية الترتيب والتعريف فيه، وإمتدتهذه الدراسات في التطور من القرن الثالث الهجري إلى غاية القرن الثالث عشر هجري واشتهر في هاته الفترة معجميون لازالت أسمائهم تذكر منهم: النضر بن الشميل [ت 203 هـ] وأبو زيد الأنصاري [ت 215 هـ] وأبو سعيد عبد الملك الأصمعي [ت 214 هـ]²⁵ وأبو عبيد القاسم ابن سلام الهروي [ت 223 هـ] الذي اشتهر بمؤلفه "الغريب المصنف" الذي يعد أهم مدونة معجمية²⁶ إنبنى عليها التأليف المعجمي المختص، وهناك الكثير من المؤلفين ذاع صيتهم خلال هذه الحقبة نهجوا منهج أبو عبيد القاسم وآخرهم عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري بكتابه "كشف الرموز" [ت 1158 هـ] وما تجدر الإشارة إليه أن هذه المعاجم العلمية المختصة إستقت مادتها اللغوية من مصادرها الأولى، فما نوع هذه المصادر المعتمدة ؟

يقول ابن منظور: "وإني لم أزل مشغولاً بمطالعات كتب اللغات والإطلاع على تصانيفها وعلل تصانيفها، ورأيت علماءها بين رجلين أما من أحسن جمعه

فإنه لم يحسن وضعه وأما من جاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع²⁷ يصرح ابن منظور في هذا القول إلى أن جمع المادة اللغوية مسألة وضع المصطلح، فإذا إختلت مسألة من هاتين المسألتين فإن الإصابة والإجادة تذهب، ومفهوم الجمع مسألة متصلة بالمدونة المعجمية وبالمناهج المتبع في التخريج وأهم ما يتعلق بهذا الجمع هو المصادر التي إعتمدت في جمع مدونة المصطلحات العلمية الطبية والصيدلية²⁸ بالدرجة الأولى، لهذا تتنوع مصادر هذه المدونة بين المصادر الأعجمية والمصادر العربية الإسلامية.

1/ المصادر الأعجمية:

قامت المعاجم العلمية المختصة على لغة كانت في نهاية القرن الثاني الهجري في الحواضر وفي أواخر القرن الرابع الهجري في البوادي في طور الإنشاء والتكوين في بداياتها و لم يكن العرب هم من أنشأها بل العجم الذين تخرجوا من مدرسة " جند يسابور " ببلاد الفرس ثم دعوا إلى عاصمة الخلاصة العباسية ليستفاد منهم في إنشاء الثقافة العربية الإسلامية التي كان رافدها الأساسي الآثار الأعجمية وبخاصة اليونانية المترجمة إلى العربية.

وتترجم هذه الآثار اليونانية في معجمان لأهم عالمان يونانيان كان لهم الأثر في بلورة المعجم العلمي العربي المختص لهما: " جاليتوس " و"ديوقريس" المعجم الأول " معجم المقالات الخمس " أو "كتاب الحشائش" لـديوقريس العين الزربي تكفل بنقله إلى العربية " إصطفت بن سبيل " في القرن الثالث الهجري ، أما المعجم الثاني " كتاب الأدوية المفردة " لطبيب والفيلسوف اليوناني جاليتو سالبرنامياهم بنقله إلى العربية " حنين بن إسحاق " في إحدى عشرة

مقاله²⁹ ولهذان المعجمان الأثر في إنشاء المعاجم العلمية العربية المختصة فقد إعتد عليهما كثير من المؤلفين سواء نقلًا تامًا فعل " أبو جعفر أحمد الغافقي " في كتابه " الأدوية المفردة "، ومحمد عبد الله ابن البيطار في كتابه " الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ".

ومحمد عبد الله ابن البيطار في كتابه " الإعتماد " فقد أخذ أخذًا جزئيًا حين إعتد على أكثر من ست وستين مرة على كتاب ديوقريس وسبع وثلاثين مرة على جاليتوس وجل الشواهد كانت متعلقة بالمواد والعلاج، وأبو الريحان البيروني كذلك نوه إلى هذين المعجمين في مقدمة كتابه الصيدنة³⁰.

والمؤلفين العرب لم يكتفوا بهذين المعجمين وحسب بل أخذوا عن كثير من العلماء الذين إشتهروا بمعرفتهم في الثقافة اليونانية منهم: *بديغورس* عالم رياضي عاش في القرن 6 ق.م أسند له كتاب " إبدال الأدوية المفردة والأشجار والصموغ والطين "، وإيقراط هو طبيب يوناني Hippecratis ، أرسطو طاليس لمقدوني أسند إليه كتاب " طبائع الأشجار " ، وروفس عالم طبيعي وطبيب عاش في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي وأوريباسيوس له كتابان إعتدتهما ابن الجزار في كتابه " الأدوية المفردة " كما ذكر البيروني³¹ وغيرهم من العلماء الذين إستفاد المؤلفون العرب من علمهم عليهم .

إلا أن ما يعاب عليهم أن بعض العلماء المختصين في جمع المصادر الطبية لم يترجموا الكتب المختصة في الطب ككتب أبقرط وجاليتوس ترجمة صحيحة مقننة لأن العرب المسلمين لم يعرفوا الطب كعلم وإنما كان مطبقا عندهم كالتداوي بالكي وشرب العسل، لكن نجد أن بعض العلماء أرسوا قواعد

طب العيون وكان ابن الهيثم في طبيعتهم فهو أول جعل الجراحة علما له أصوله وقواعده³² .

2. المصادر العربية الإسلامية:

من بين الأوائل الذين اعتمد على كتبهم في جمع المصطلحات نجد: تبادوق الطبيب المسيحي السرياني الذي خدم الحجاج (ت90 هـ / 709م) و ماسرْجُونُه طبيب يهودي عاش بين القرنين الأول و الثاني الهجريين.

أما في مطلع القرن الثالث الهجري فحركة الترجمة مثلت الرافد الأساس في إنشاء الثقافة العلمية الطبية العربية الإسلامية فنجد أن حنين بن إسحاق العبادي قد ترجم ليوحنا بن ماهويه (243هـ / 857م) فألف كتب منها: " كتب المسائل في الطب للمتعلمين " و " العشر المقالات في العين " و " كتاب الأغذية " ، و آخرون لم يترجموا و إنما استفادوا من هذه الترجمة من بينهم: أبو الحسن علي بن رين الطبري (ت 250 هـ) في كتاب أسماه " فردوس الحكمة " ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 256 هـ) في رسالة له " رسالة في معرفة قوى الأدوية المركبة " بالإضافة ما كتبه ضياء الدين بن البيطار الأندلسي في الأدوية مستشهدا بما ترجم من الكتب فوضع "كتاب الأدوية المفردة " الذي يعد جامعا لجل العقاقير النباتية والحيوانية ذاكرا إياها بالعربية والأغريقية ومن هنا يتبين أن الأسلوب العلمي كان طريق العلماء العرب المسلمين فيحروا الأمانة العلمية في النقل ولم يسلموا إلا بالمنهج العلمي التجريبي اعتمادا على التجربة لذا كانت جل العلوم مزدهرة خاصة في العصر العباسي؛ لأن المسلمين اكتسبوا هذه العلوم من مصادر مختلفة جراء ترجمتهم لعلوم الأعاجم فأتقنوها و زادوا

عليها و نشروها في العالم أجمع بداية من القرن الثاني للهجرة إلى غاية القرن السابع الهجري

يتبين من خلال ما ذكرناه أن العرب المسلمين اهتموا بحفظ تراثهم و تدوينه لذلك عمل المعجميون كل ما من شأنه أن يحفظ هذا التراث، فراحوا يرتحلون في البوادي لجمع شتات المصطلحات، و انهمكوا في ترجمة علوم الأعاجم حتى يأخذوا منها ما يلائم بيئتهم ، و الاهتمام بالعلم والعلماء ساعدتهم في إرساء معالم العلوم التي قننت انطلاقا من عصر صدر الإسلام و وصلت ذروتها في العصر العباسي بتحفيز من الخلفاء فأنشئت دور خاصة للترجمة و مستشفيات فشيد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أول مستشفى عام 88هـ/ 706م.

هوامش البحث و إحالاته :

- ¹. ينظر، إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص [حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري]، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، ص21.
- ². ابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكوفي، منتصانيه: إعراب القرآن، معاني القرآن و ديوان الكتاب و خلق الإنسان (ايمل يعقوب: المعجم المفصل في اللغويين العرب، ص 364).
- ³. الإيتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط ، د ت، ج:1، ص 113.
- ⁴. سورة عبس، الآية 31.
- ⁵. الإيتقان في علوم القرآن، المرجع السابق، ص 131.
- ⁶. سورة التوبة، الآية 01.

- ⁷. نزهة الألباب في قول الترميذي، حسن بن محمد بن حيدر الوائلي، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، دار ابن الجوزي، ط1، السعودية، 1426هـ، ج4، ص8.
- ⁸. ينظر، الإتيان في علوم القرآن، المرجع السابق، ص 156.
- ⁹. ينظر، المعجم العلمي المختص، إبراهيم بن مراد.
- ¹⁰. ينظر، جهود الصحابة في اللغة، ابن عباس نموذجاً، خالد بن صالح بن محمد الغراني، دار الكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1، 2006، ص295.
- ¹¹. المعجمات العربية، دراسة منهجية، محمد علي عبد الكريم الرديني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2006، ص30.
- ¹². ينظر، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار النهضة العربية، ط 1، مصر، 1997، ص 104.
- ¹³. هو القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم (ايمل يعقوب، المرجع السابق، ج2، ص30).
- ¹⁴. هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن النحوي، المعروف بالكسائي، له: "معاني القرآن"، "الحروف" (ايمل يعقوب، المرجع السابق، ج1، ص454).
- ¹⁵. ينظر، مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري، تقديم عبدالراجي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص 38.
- ¹⁶. ينظر، المرجع نفسه، ص ص 38، 40.
- ¹⁷. ينظر، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، محمود سليمان، ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ط1، مصر، 2005، ص15.
- ¹⁸. ينظر، المفصل في المعاجم العربية، حمدي بخيت عمران، مكتبة زهراء، الشرق، ط 1، مصر، 2005، ص ص 21، 22.

- ¹⁹. ينظر، المعجم العلمي العربي المختص، إبراهيم بن مراد، المرجع السابق، ص 9.
- ²⁰. ينظر، معاجم الموضوعات، محمود سليمان ياقوت، المرجع السابق، ص 16.
- ²¹. ينظر، المعجم العلمي العربي المختص، المرجع السابق، ص 26، 27.
- ²². المرجع نفسه، ص 28] يعد كتاب النبات مفقودا نشرما تبقى منه المستشرق برنهارد لوين « B.Leuwin »].
- ²³. ينظر، المعجم العلمي العربي المختص، المرجع السابق، ص ص 32، 33.
- ²⁴. ينظر، الموجز في التراث العلمي العربي، علي عبد الله الدفاع، دار جون وايلي، د ط، د ت، ص 170، 211.
- ²⁵. ينظر، دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط 1، تونس، 1987، ص 9.
- ²⁶. ينظر، دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط 1، تونس، 1987، ص 9.
- ²⁷. لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص خ.
- ²⁸. ينظر، المعجم العلمي العربي المختص، إبراهيم بن مراد، المرجع السابق، ص 69، 70.
- ²⁹. ينظر، المعجم العلمي العربي المختص، ص 32، 33، 34.
- ³⁰. ينظر، المرجع نفسه ، ص 72.
- ³¹. ينظر، الموجز في التراث العلمي العربي الإسلامي، علي عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 27.
- ³². ينظر، الموجز في التراث العلمي العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص

قائمة المصادر و المراجع المعتمدة في البحث :

1. إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص [حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري]، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993.

-
2. الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط ، دت، ج:1.
 3. نزهة الألباب في قول الترميذي، حسن بن محمد بن حيدر الوائلي، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، دار ابن الجوزي، ط1، السعودية، 1426هـ، ج:4.
 4. جهود الصحابة في اللغة، ابن عباس نموذجاً، خالد بن صالح بن محمد الغراني، دار الكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1، 2006.
 5. المعجمات العربية، دراسة منهجية، محمد علي عبد الكريم الرديني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2006.
 6. مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار النهضة العربية، ط 1، مصر، 1997.
 7. مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري، أحمد فرج الربيعي، تقديم عبدالراجحي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، دط، 2001.
 8. معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، محمود سليمان، ياقوت، دار المعرفة الجامعية، د ط، مصر، 2005.
 9. المفصل في المعاجم العربية، حمدي بخيت عمران، مكتبة زهراء، الشرق، ط 1، مصر، 2005.
 10. دراسات في المعجم العربي، ابراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط 1، تونس، 1987.
 11. لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1996.
 12. الموجز في التراث العلمي العربي الإسلامي، علي عبد الله الدفاع، دار جون وايلي، د ط، دت.
 13. دراسات في المعجم العربي، ابراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط 1، تونس، 1987.
 14. دراسات لغوية، حسين نصار، دار الرائد العربي، دط، بيروت، لبنان، 1981.

-
15. المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، دار الميسرة، ط1، عمان،الأردن، 2003.
16. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، ط1، بيروت، لبنان، 1980.